

## تجليات الوصف في رواية " أشواك وياسمين " لحسونة المصباحي التونسي

The main Description in a novel " Thorns and jasmine" by Hassouna Al-Mesbahi Al-Tunisi

ط/د محمد سعدي \*

<sup>1</sup> جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله - الجزائر

تاريخ الإرسال: 2021-05-31 تاريخ القبول: 2021-12-23 تاريخ النشر: 2021-12-25

**ملخص:** يعد الوصف أحد أهم المكونات الرئيسية في البناء الروائي، فهو من أبرز الأساليب الفنية، التصويرية والتعبيرية التي حفل بها الأدب في مختلف العصور وفي شتى أشكال القول الأدبي، ويعتباره محورا أساسيا لا يمكن للنص الروائي الاستغناء عنه، فهو أداة فاعلة في تصوير المشاهد والأحداث الروائية.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهم المحطات الوصفية التي وظفها الروائي في متنه من أجل رصد مظاهر الحياة (وصف الطبيعة، وصف الواقع الاجتماعي والثقافي، الأشخاص، الأمكنة) وتجلياتها في متنه الروائي، فأبرز ما يميز الرواية أنها بنيت على الوصف بدرجة كبيرة حيث استغرق الوصف فصول الرواية. الكلمات المفتاحية: تجليات، وصف، رواية، أشواك وياسمين، المصباحي.

### Abstract:

The Description is one of the most important components of narrative construction, as it is one of the most prominent artistic, pictorial and expressive methods in which literature was celebrated in various eras and in various forms of literary speech, and as an essential axis that cannot be dispensed with narrative text, it is an effective tool in depicting scenes and narrative events.

This study seeks to highlight the most important descriptive stations that the novelist employed in his board in order to monitor the aspects of life (describing nature, describing social and cultural reality, people, places) and its manifestations in his narrative board. The most prominent characteristic of the novel is that it was based on the description to a large extent, where the description took chapters the novel

**Keywords:** Manifestations, description, novel ; thorns and jasmine, Al-Mesbahi.

\*: [saadimohamed152@mail.com](mailto:saadimohamed152@mail.com).

## 1- مقدمة

يعد الوصف محورا أساسيا لا يمكن للنص الروائي الاستغناء عنه، باعتباره أداة فاعلة في تصوير المشاهد والأحداث الروائية، حيث يقتصر على بؤرة معينة ويعرض مشهدها فهو الذي يجعلنا نرى الأشياء عن طريق تأدية وظيفته التصويرية، التي هي وظيفة إدراكية مباشرة من المرتبة الأولى، بمعنى أنه يقدم الأشياء للعين في صورة مباشرة تحاكي العالم الخارجي للواقع.

وبالرغم من تعدد المفاهيم حول مصطلح الوصف نجد "جيرا جينيت" يقول: "بأنه كل حكي يتضمن - سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغيير - أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا، هذا من جهة، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصف". (لحميداني، 1991، ص78).

وتعرف الناقدة "سيزا قاسم" الوصف بقولها: "أسلوب إنشائي، يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين - فيمكن القول أنه لون من التصوير ولكن التصوير بمفهومه الضيق يخاطب العين، أي النظر - ويمثل الأشكال والألوان والظلال." (القاسم، 2004، ص110)

أما الوصف عند عبد اللطيف محفوظ من خلال كتابه: "هو الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرد داخل نسق الموجودات المتشابهة له أو المختلفة عنه." (محفوظ، 2009، ص13) وللوصف وظائف عدة، يمكن استخلاصها من النص السردى نذكر أهمها:

- أ- وظيفة واقعية: تقديم الشخصيات والأشياء والمدار المكاني والزمني، كمعطيات حقيقية للإيهام بواقعيتها.
- ب- وظيفة سردية: تزويد ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن، والشخصيات وتقديم الإشارات التي ترسم الجو أو تساعد في تكوين الحبكة.
- ت- وظيفة إيقاعية: تستخدم لخلق الإيقاع في القصة: قطع تسلسل الحدث لوصف المحيط الجغرافي، الذي يكشفه يولد تراخيا بعد توتر، وقطع تسلسل الحدث في موضع حساس يولد القلق، والتشويق وبالتالي يولد التوتر. " (زيتوني، دت، ص172)

ويبدأ الوصف "بتناول الأشياء في أحوالها، وهيئاتها كما في العالم الخارجي، وتقديمها في صورة أمنية تعكس المشهد، وتحرص كل الحرص على نقل المنظور الخارجي أدق نقل، وارتبط وصف الأشياء بمفهوم المحاكاة الحرفي، أي التصوير الفوتوغرافي " (القاسم، 2004، ص111)

وعليه سنقف عند أهم المحطات التي وقف في تصويرها الروائي في نصه "أشواك وياسمين: وهي:

### 1- وصف الطبيعة:

تعددت المقاطع السردية التي نجدها تصف المناظر الطبيعية في رواية "أشواك وياسمين"، نورد منها ما يلي:

أثناء تواجده بتونس ،قام بجولة على شواطئ الحمامات يصف فيها إعجاب السياح بمناظر البحر وشواطئه ورماله فيقول :

" يوم دافئ ،بشمس ربيعية،وبسماء ذات سحب بيضاء قليلة..متفرقة.تجولت على شاطئ الحمامات.سياح كثيرون مستلقون على الرمال الناعمة،أو يسبحون أو يتجولون بلباس الصيف وهم سعداء بأن يكونوا بعيدين عن الثلج ،وعن البرد الشديد في بلدانهم ... (المصباحي،2015،ص48)

وفي مقطع آخر يصف رحلته إلى بيت هاينريش بل الريفي القريب من الحدود الفاصلة بين ألمانيا وبلجيكا ليكون الوصف شاملا للرحلة وما أحاط بها حين يقول :

"غادرنا محطة القطارات بكونونيا في الساعة الثالثة ظهرا لنبلغه بعد حوالي ساعة تحت وابل من المطر سرعان ما كف ليعقبه صحو بديع.غابات.وسهول خضراء.وكنيسة صغيرة،وببوت تفصل بينها مسافات قصيرة لا تتعدى العشرة أمتار يلفها الصمت والسكون .عند مدخل البيت ،وفي حديقته،أشجار تقاح وأجاص مثقلة بثمارها ،وثمة خيول ترعى من الناحية الشمالية.." (المصباحي،2015،ص249)

وفي مقطع وصفي آخر يقول السارد : "جولة أخرى في الغابة.روائح الزعتر والشيح والإكليل والأزهار البرية أكثر فوحانا من قبل بسبب الأمطار الغزيرة التي تهاطلت فجر اليوم.الضباب يصعد من أسفل...أي من المحيط ليغطي قمم الهضاب والجبال ،لم يقع بصري على أكياس بلاستيك أو على علب أو على أي شيء من تلك الأشياء التي تشوه الطبيعة والشواطئ والغابات والحدائق والشوارع والساحات في بلادنا،(....)أثناء العودة دست خطأ على خنفس أسود فمات في الحين..(....) لوقت طويل ظل ضميري يحزني وظلت روحي تتعذب جراء فعلتي الشنيعة ." (المصباحي،2015،ص324)

يندرج هذا المقطع ضمن الوصف الحر ،الذي " يتميز بكونه يبدو في الظاهر وكأنه منفصل عن السرد الروائي ،يندمج في شكل مشهد قصير ،أو لقطة موجزة ،وأنة اقتحام مفاجئ يوقف تسلسل السرد الروائي ،ويشكل هذا النمط في الغالب ،أداة فنية تتأرجح بين كونها وصفا وصورة،وصفا لكونها تقدم مشهدا ،وصورة لأنها تحاول التعبير بالرمز عن حدث فعلي ،أو عن انفعال داخلي..." . (محفوظ، 2009، ص ص 57-58) ولعل هذا النمط من الوصف هو نتاج الطفرة التي شهدتها الكتابة الروائية بدءا من القرن الماضي.

## 2- وصف الواقع الاجتماعي :

### 1-2 وصف الحي الشعبي :

لقد ورد وصف المحيط الشعبي في رواية أشواك وباسمين من خلال بعض المقتطفات السردية التي حاول فيها السارد الكشف عن حركة المجتمع ،فيصف المصباحي وسطه الشعبي في تونس فيقول:

" والآن ترتفع في المنازل وفي المقاهي وفي الأسواق وفي المحلات التجارية الصغيرة والكبيرة وفي دكاكين بيع الأكلات السريعة وفي صالونات الحلاقة وفي حافلات النقل العام ،أصوات الشيوخ المقرئين الموحشة الحزينة وهي تنذر بالويل والثبور كل من عصى وخالف الدين...وفي حين تشهد المساجد ارتفاعا متزايدا في أعدادها ،في المدن

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي  
ووفي القرى، تغلق دور السينما أبوابها وأما الفضاءات المخصصة للثقافة فتكاد تخلو من مرتاديهها...."  
(المصباحي، 2015، ص18، 17)

يستقي السارد بنيته الوصفية من الواقع الاجتماعي، الذي يفوق في إتقانه على تجسيد الحالة السيكولوجية للمجتمع ببعدها النفسي المتوتر جراء ما تسمعه أو ما يسببه الوسط الشعبي، من الضجيج والصياح، فهم يفتقدوا الراحة والهدوء حتى في مأواهم السكني، وهذا ما جسده السارد على المجتمع. وفي مقطع آخر يصف مدن تونس الصغيرة والكبيرة وحالة شوارعها وأرصفتها بعد هروب الرئيس بن علي:

" وفي المدن الكبيرة والصغيرة، احتل الباعة المتجولون الأرصفة والشوارع والساحات لبيع سلعهم المهربة والمسروقة من المحلات الكبيرة ومن فيلات أفراد عائلة "المخلوع" (المصباحي، 2015، ص134)

احتل الوصف مكانة سردية في بناء المشاهد الروائية، حيث يسعى على مستوى النص تقديم صورة تلامس الواقع، وتعتبر عن المجتمع ومظاهره من خلال بأفعاله، وسلوكاته اليومية، ونجد إشارات مباشرة استطاع السارد من خلالها أن يعطي صورة تحاكي المجتمع وتحركاته انطلاقاً من وصف الوسط الشعبي في المدينة، التي تتميز بكثافة سكانها، واتساع أحيائها وشوارعها باعتبارها جزء لا يتجزأ من المدينة.

## 2-2 وصف القضايا الاجتماعية :

### 1-2-2 البطالة والفقر :

للو وصف هنا دور في بيان وإبراز الحالة الاجتماعية للشخصية، ووصف ما تعانيه من البطالة التي تعد من أبشع القضايا التي عرقلت حياة الفرد في مساهرة الواقع المعيش وتسببت في الكثير من تأزمات مست الوضع المادي للمجتمع، مما خلفت معاناة اجتماعية وسيكولوجية، فالوصف يؤدي وظيفة واقعية.

يصف المصباحي حالة البطالة التي أصبحت مشكلة خطيرة تواجهها الحكومة التونسية والتي غزت مدن تونس وآلمت شبابها خريجي الجامعات أصحاب الشهادات العليا العاطلين عن العمل في قوله : "وعدد العاطلين عن العمل من أصحاب الشهادات العليا يتضاعف كل عام... والنظام يواجه هذه المشاكل الخطيرة بشعار جميل مكتوب على لافتات تعلق في ساحات وشوارع المدن الكبيرة :الشباب ليس المشكل وإنما الحل..". (المصباحي، 2015، ص49).

"...وفي سيدي بوزيد... وغيرها من المدن كثيرون هم أصحاب الشهادات العليا الذي يعيشون عائلة على عائلاتهم سنوات طويلة بعد تخرجهم، أو هم يقبلون بالقيام بأعمال صغيرة ومهينة مقابل أجور لا تكاد تكفي لسد الرمق ..". (المصباحي، 2015، ص216)

والسارد يغوص في أغوار المجتمع، للكشف عن معاناة حياة المجتمع، منتبعا في ذلك الواقع، والأزمات المزرية كالبطالة رغبة في التعبير عن آلام المجتمع.

في مقطع آخر وعلى لسان البوعزيزي يصف الحالة التي آل إليها فيقول : " ...فقد تحملت الفقر. أما أن ينضاف إليه الظلم، والإذلال، والمهانة، فهذا لم أعد قادرا على تحمله." (المصباحي، 2015، ص228)

أعطى حسونة المصباحي من خلال المقطع صورة تحمل إشارات ودلالات عن الفقر في تونس، وقد كانت شخصية "البوعزيزي" نموذجاً لهذا الوضع القاهر في حياته، والذي كان سبباً في هلاك حياته، وحاجزاً في بناء حياة مستقرة، فالوصف هنا له دور في إبراز حالة الشخصية، وما تعانيه من ظروف قاسية في المعيشة سببها الفقر.

## 2-2-2: الهجرة :

يتطرق السارد أيضاً إلى قضية الهجرة التي تسود حياة الشباب في وقتنا الحالي، واستحوذت على تفكيرهم العقلاني، التي دفعت بهم إلى التفكير السلبي، في وضع المصير الذي تعتمد عليه الحياة، فالهجرة بالنسبة لهم هو الحل للتخلص من عبء الفقر ومعاناته،

يقول السارد على لسان البوعزيزي حين يصف نيته في الهجرة، بعدما يئس من حياة الفقر والظلم في تونس، ليقتردي بتجربة صديقيه الناجحين في أوروبا، ويصف حفاوة الاستقبال التي يلقونها عند عودتهما إلى تونس فيقول: "...وفي نيتي أن أجمع مبلغاً من المال يسمح لي بالحصول على جواز سفر والهجرة إلى أوروبا آملاً أن تتحسن أحوالي هناك فأعود إلى سيدي بوزيد بسيارة محترمة مصحوباً بزوجة شقراء... ولم لا ؟... فأنا أعرف شابين (.....) هاجرا إلى سويسرا وأصبحا يعيشان عيشة مترفة. وفي كل صيف يعودان إلى مسقط رأسهما فيستقبلهما الأهالي وكأنهما من الأسىاد.. " (المصباحي، 2015، ص216)

فالوصف هنا يبرز حالة الشخصية، ورغبتها في الهجرة ولعل الدافع إلى الهجرة هو الفقر والبطالة هنا، حيث نلمس أثره الاجتماعي في النصين كقضية تجلت في ملامحها واقع المجتمع ومعاناته وعليه نجد و"البوعزيزي" اختار طريق الهجرة بسبب ما قاساه من عذاب ومعاناة جراء الفقر، كحل يشرب مرارة ألم الفقر.

## 2-2-3 الانتحار :

استدعى السارد في نصه أحد القضايا الاجتماعية، التي يشهدها المجتمع في واقع يومياته، وهي ظاهرة الانتحار، وما تخلفه من معاناة نفسية تأثر على المجتمع، يصف المصباحي انتشار ظاهرة الانتحار في أوساط الشباب التونسي بسبب سوء الوضع الاجتماعي، واليأس والإحباط وانسداد الأفق لدى الشباب، حيث تعددت وكثرت الظاهرة حتى اعتقدها للشباب مخرجاً من تعفن الوضع: " - أخي يقول أن شاباً يعمل بائع خضار متجول أحرق نفسه أمام مبنى الولاية...والآن هناك مواجهات عنيفة بين المواطنين والشرطة . أحرق نفسه؟ ليس الأول ولن يكون الأخير حسب ظني...قبل أشهر بلغني أن شاباً يعمل بائعاً متجولاً هو أيضاً أحرق نفسه في القيروان، وأن آخر يبيع سندويشات في محطة سيارات الأجرة بالمنستير فعل الشيء ذاته ..وفي بنقردان بالقرب من الحدود مع ليبيا قطعوا شجرة بعد أن شنق أربعة شبان أنفسهم على فروعها...اليأس، والإحباط ..وانسداد الأفق وكل هذا وراء تكاثر حوادث الانتحار في أوساط الشباب بالخصوص.. " (المصباحي، 2015، ص49)

فالانتحار يترك أثراً نفسياً مرعباً على قلوب المجتمع، والانتحار يعد ظاهرة شنيعة على مستوى المحيط الاجتماعي، وعلى هذا الاعتبار يبرز الوصف حالة الشخصية، التي قدمت نفسها للانتحار ولعل الدافع هو تأخر الفرص مما أدى بها إلى الخوف واليأس من مصير حياتها .

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي

#### 2-2-4: ظاهرة السرقة في المجتمع :

استحضر السارد أحد الظواهر التي شوهت صورة المجتمع، وهي ظاهرة السرقة التي مزقت الصورة الأخلاقية للفرد، شيعت السرقة كظاهرة اجتماعية أرهبت المجتمع، في كيفية تأمين ممتلكاتهم من المجرمين خوفا من نهبها، لأن السرقة أصبحت كوسيلة للحصول على الرزق اليومي في حياة السارق، فالوصف في هذا النص يؤدي وظيفة واقعية، والغرض منها هو الكشف عن صورة الجرائم التي شوهت الواقع الأخلاقي للمجتمع.

استفحلت ظاهرة السرقة والنهب بعدما انعدم الأمن وتشتت أوضاع البلاد واختلطت الأمور عند سقوط النظام التونسي بهروب رئيسها "بن علي" الذي ترك أغلب ما يملك، فلم يكن يتصور هو أو أحد من أفراد شعبه أن يسقط سيدهم، يصف السارد المشهد في المقطع التالي : " هرب "المخلوع" ومعه زوجته التي تركت هي أيضا مجوهراتها وفساتينها وأحذيتها (...) فقامت الخادמות بالاستيلاء على الغنائم في ظرف زمني وجيز، وانتشر الخدم في مختلف الأجنحة ينهبون ويسلبون وهم في حالة هysterية، إذ أنهم ماكانوا يتصورون أبدا أن يسقط سيدهم تلك السقطة المدوية ويمثل تلك السرعة التي يقتلع بها الضرس المسوس .." (المصباحي، 2015، ص100)

وفي مقطع آخر يطلعا السارد عن مشاهد أخرى سيطرت على الشارع التونسي "وعصابات السرقة والنشل أصبحت تنتشط في الأسواق وفي الشوارع وفي الأحياء من دون خوف وترتكب ما تريد من الجرائم ولا أحد يتجرأ على ردها. والذين قتلوا برصاص رجال الأمن وهم ينهبون المحلات التجارية ويحرقون البنوك ودوائر البريد والمؤسسات الحكومية منحوا لقب "شهداء الثورة".." (المصباحي، 2015، ص134)

ومن هنا يمكن القول أن الوصف استطاع أن يبرز حالة المجتمع ويصور آلامها ومعاناتها انطلاقا من القضايا والأزمات المزرية التي شهدتها حياة الشخصيات .

#### 2-2-5 : المظاهرات:

المظاهرات عبارة عن تجمعات تقوم بها جملة من الأشخاص، أي مجموعة من الناس بطريقة سلمية منظمة في حيز من الشارع، أو في طريق عام بغية التعبير عن إشكالية أو فكرة شغلت أو شوشت تفكير أشخاص، أو رأي أو احتجاج أو المطالبة بتنفيذ رأي ما، أو تكون لهم مطالب إصلاحية تعبر عن مصالحهم، وانشغالاتهم الاجتماعية.

وشهدت ساحات تونس العديد من المظاهرات السياسية والاجتماعية الحاشدة التي طالبت بتغيير النظام وتحسين الظروف المعيشية للمواطنين، وقد عبر المصباحي عن هذه المشاهد بمجموعة من المقاطع الوصفية التي نوجز منها الآتي :

"وفي كل يوم، من الصباح وحتى المساء، تشهد "جادة باب البحر" بقلب العاصمة تظاهرات حاشدة لمختلف الشرائح السياسية المعروفة، أو التي برزت فجأة للوجود، وظهرت كل جمعة يغزو الجادة سلفيون بجلابيات ودشاديش أفغانية ويلحى طويلة، وبعد أن يؤدوا الصلاة يرفعون الرايات السوداء ويشبهون الخناجر وهم يصرخون :الله أكبر ..."

(المصباحي، 2015، ص133)

انتقلت حمى التظاهر إلى الدول العربية بعد سقوط نظام بن علي من أجل تحسين الأوضاع ومحاربة الفساد ، فيورد المصباحي مقطعاً يصف فيه مظاهرات سلمية في دولة المغرب ، خرج عناصرها من مختلف الأطياف السياسية رافعين لافتات وشعارات مطالبين بمعاينة المفسدين وتحسين الأوضاع دون تسجيل أي خسائر بشرية أو مادية فيقول :

"آخر الظهيرة...تجمع بضعة آلاف وسط المدينة للتظاهر ضد الفساد غير أن الشرطة خيرت أن تراقبهم من بعيد من دون أن تتدخل تاركة إياهم يصيحون بالشعارات...رافعين اللافتات...ومستمعين إلى الخطباء من مختلف التيارات السياسية.عند حلول الليل تفرقوا في هدوء واستعادت الحركة وتيرتها العادية وسط المدينة..." (المصباحي، 2015، ص211).

بينما يورد في مقطع آخر مشهداً يصف فيه مسيرات ومظاهرات خرجت في تونس مطالبة بالتغيير تحمل طابعا ايديولوجيا مختلفا ، تخللتها مظاهر مشينة من شغب وعنف خلفت خسائر مادية واعتبارات لا أخلاقية تتم عن تصفية حسابات عكست الأوضاع التي آلت إليها تونس بعد الفراغ السياسي وتنامي المظاهر الاجتماعية السيئة وكثرة الطوائف والجهات والدوافع ، حيث يقول : "جموع غاضبة سوداء لا تتعب من النعيق مثل غريبان الشؤم، رايات سوداء ، جلابيب سوداء ، وجوه عابسة سوداء، أفواه واسعة كالمغاور سوداء...قلوب حاقدة سوداء، لحى سوداء شعناء ، أرجل سوداء...نفوس مريضة سوداء ، سواد على سواد إلى مالا نهاية، وهم مثل الخفافيش يعشقون الظلام... (.....) وإمامهم العجوز قال لهم بعد أن تحدث إليهم طويلا (.....). بأصوات عالية هللت الجموع السوداء لخطبة الإمام العجوز وكبرت عشرات المرات، ثم خرجت من المسجد غاضبة خانقة...هجمت على قاعات السينما لتحطم البواب ، وتقتلع الكراسي (....) دمرت وخربت غاليري مفتوحة على البحر ..متلفة اللوحة المعروضة فيها ، كما أشعلت النار في بيت مدير قناة تلفزيونية بدعوى أن تلك القناة تعرض أفلاما ، وتقدم برامج تمس ب" الذات الإلهية" وتتنافى مع الأخلاق..." (المصباحي، 2015، صص348، 345).

تصف هذه المقاطع ظاهرة لها الأثر الاجتماعي ، تجلت في المظاهرات التي عدت في النصين كوسيلة تسعى لتحقيق أهداف وغايات المجتمع ، والتي تختلف حسب طبيعة تكوينها وأسبابها وعوامل وظروف وقوعها ، فالمظاهرات في هذه المقاطع السردية تحمل بعدا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وأخلاقيا .

### 03- وصف الواقع الثقافي :

#### 3-1 : الندوة الثقافية :

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي

تعرف الندوة بأنها خطوة بحثية يقدم فيها الباحث مشروعاً علمياً أو ثقافياً يلقيه على الجمهور الحاضر، ويخضعه للنقاش على الجمهور، حيث يعبرون ويبدون وجهات نظرهم تبعاً لآرائهم وأفكارهم العلمية، التي قد تخدم مشروع الباحث للاستفادة والاستزادة العلمية، فالهدف من الندوة الثقافية هو الرفع من المستوى العلمي للمجتمع .

وفي مشهد وصفي آخر يعبر السارد في رواية "أشواك وياسمين" عن تجربته وموقف الإعجاب الذي حظي به من طرف الطلبة أثناء إلقاءه مداخلة في ندوة فيقول :

"...في ندوة ثقافية..... ،أغلب تلك المداخلات التي قدمها جامعيون مملّة،رتيبة مثل الدروس التي يلقونها على طلبتهم. فلما جاء دوري،تركزت المداخلة التي علي إلقاؤها جانبا ،ورحت أتحدث عن فيلم "طيران فوق عش الوقواق" كمدخل لإثارة موضوع "الجنون الجميل في الفلسفة،وفي الفنون والآداب عبر التاريخ متوقفا عند بعض الأعمال الشهيرة العاكسة لذلك ،بعد انتهاء الندوة ،أحاط بي عدد من الطلبة للتعبير عن إعجابهم بمدخلتي.." (المصباحي،2015،ص60).

الندوة هي محور التقاء الثقافات بمختلف أنواعها ومنطلق علمي مؤسس لفكر المجتمع ،مما تزيد فيهم من قوة في المعرفة،والإنتاج العلمي والثقافي ،ولذلك عدها الروائي ميزة تحمل أثرا ثقافيا ،كونها تبرز الواقع الثقافي للمجتمع ،ولقد كان للوصف هنا دور في إبراز السمة الثقافية،التي تتسم بها الندوة على مستوى الإطار المعرفي والعلمي .

### 3-2 : السياحة :

تعرف السياحة بالسفر ،أي التجوال من مكان إلى آخر ،يقصدها المجتمع بهدف الترفيه ،أو الاكتشاف أو الدراسة وحتى الضغوطات التي يواجهها المجتمع في الحياة اليومية ،والتي تخدم وتحقق احتياجات المسافرين ،كما تشمل السياحة جملة من الأنواع ،قد تكون سياحة ترفيهية تقصد لغرض سياحة ثقافية علمية ،ويكون الهدف منها زيارة الأماكن والمواقع الأثرية ،إضافة لاكتشاف عادات وتقاليد الشعوب الأخرى.

ولقد وظف الروائي السياحة معبرا عن أثرها الثقافي والمعرفي والنفسي حيث يقول عن رحلته إلى المغرب الشقيق لحضور معرض الكتاب بدعوة من منظميه :

" سافرت إلى الدار البيضاء بدعوة من معرض الكتاب .لم يسبق لي أن رأيت مطار قرطاج كئيبا ،وشبه مقفر كما حاله في تلك الظهيرة الرمادية الباردة .." (المصباحي،2015،ص209)

وأیضا : "...في اليوم الأخير من زيارتي للدار البيضاء تجولت في مكتبات المدينة،لفت انتباهي كثرة الكتب عن الملك الحسن الثاني ،وعن فترته التي شهدت أحداثا كبيرة على جميع المستويات.." (المصباحي،2015،ص229)

وبدعوة لحضور معرض الكتاب المنظم في مدينة براغ ،يصف الروائي أياما قضاها مع كتاب عرب مثله مشاركين في فعالياته فيقول واصفا المدينة وأعلامها وجولته فيها : "...سافرت إلى براغ لأقضي ستة أيام في تلك المدينة الساحرة متجولا في شوارعها وساحاتها ،زائرا متاحفها ،سأهرا في حاناتها ،متحدثا إلى أهلها ،وشبح كافكا يرافقني في الليل والنهار ..وتلك الزيارة أعادت إلي الحيوية المفقودة ،وأذابت الجليد الذي كبطني وأعاقني عن القراءة والكتابة.." (المصباحي،2015،ص27)

"وكتاب عرب مثلي مدعويين إلى دورة معرض براغ للكتاب الذي انتظم في منتصف شهر مايو-أيار عام 2011... في يوم ربيعي مشرق خلا من المواعيد الرسمية ..تهت برفقة صديقة مصرية وصديقة لبنانية في براغ التي كتب عنها عاشقها الكبير بوهيميل...." (المصباحي، 2015، ص ص 245، 246).

فأبرز الروائي وظيفة الوصف المعرفية التي يريد أن يكشف للقارئ من خلالها دور السياحة في الترفيه والامتناع، وابتعاد النفس عن الضغوطات اليومية والاجتماعية .

في مقطع آخر يذكر بيت هاينريش بل" الذي منحته إدارته إقامة فيه لمدة شهر، فيصف رحلة الوصول إليه في مقطعه هذا فيقول :

"ها أنا في "بيت هاينريش بل" الريفي القريب من الحدود الفاصلة بين ألمانيا وبلجيكا ،والذي تفضلت إدارته بمنحي إقامة فيه لمدة أربعة أشهر.....غادرنا محطة القطارات بـكولونيا في الساعة الثالثة ظهرا لنبلغه بعد حوالي ساعة تحت وابل من المطر سرعان ما كف ليعقبه صحو بديع . غابات ،وسهول خضراء ،وكنيسة صغيرة،..." (المصباحي، 2015، ص 249)

تعددت رحلاته السياحية الثقافية التي زار فيها العديد من البلدان العربية والغربية وفي هذا المشهد يصف أطول رحلة قضاها بالطائرة فيقول : "من ميونيخ إلى لوس أنجلوس ...طيران يتواصل 12 ساعة بالتمام والكمال، وفي ضوء نهار لم ينقطع أبدا حتى وصولنا في الساعة السابعة مساء بالتوقيت المحلي ،هذه أطول رحلة لي بالطائرة منذ أن بدأت أجوب العالم قبل نحو أربعين عاما...آه...نحن نشيخ بسرعة ومن دون أن نطنن إلى ذلك غالب الأحيان..." (المصباحي، 2015، ص 297)

و حاول السارد أن يبرز الأثر الثقافي الذي تحمله السياحة ،حيث نجح في اكتشاف المعالم الثقافية والمعرفية والأثرية التي تمثلها مختلف المدن الأخرى،وكما كانت له فرصة في معرفة عاداتها وتقاليدها التي تترجم وعيها الثقافي ،وبذلك كان دور الوصف هنا إبراز الجانب السياحي فله وظيفة معرفية.

ومما سبق نلاحظ أن السارد قد أبدع في تصوير الواقع الثقافي بمختلف أشكاله في قالب فني من خلال استدعاء مآثر ثقافية ( الندوة ،والسياحة) التي ساهمت في إثراء الرصيد المعرفي والثقافي للمجتمع ،وذلك من خلال الاستعانة بالوصف الذي ساهم في إبراز الجانب الواقعي والرمزي والمعرفي لهذه المعالم الثقافية.

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي

تعد وسائل الإعلام والاتصال من أهم الضروريات واللوازم عند الإنسان، وذلك نظرا للمزايا التي تحملها على مستوى التطور التكنولوجي، ومن بين تلك الوسائل نجد التلفزيون، الذي أحدث تغييرا على مستوى الحياة الفكرية، والاجتماعية والثقافية لدى المجتمع، الذي ساهم في نشر المعارف والأخبار بين المجتمع .

وبهذه الرؤية التكنولوجية التي أدرجت ضمن السرد الروائي، على شكل رموز اجتماعية وثقافية وظفها السارد بغية الوصول إلى الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في المحيط الاجتماعي والثقافي، ومن بين هذه الوسائل التي وظفها الروائي نجد التلفزيون باعتباره من أهم وسائل الإعلان نظرا لدوره الفعال وتأثيره على الوسط الاجتماعي، وذلك لما يعرضه من حصص وبرامج إعلامية تتوافق مع كل المستويات، فالتلفزيون يعرض برامج تحتوي على معلومات، ومعارف تثري من الرصيد الثقافي والاجتماعي للمشاهد،

الوصف يكشف عن دور التلفاز لما يعرضه عن حال الشعوب التي تتخبط في حروب وصراع وآلام وأحزان دمرت المجتمع، وهذا ما يبرزه أثره الاجتماعي في معاشته لأوضاع المجتمع، حيث يعد أكثر وسائل تأثيرا وأوسع وأغنى أداة تساهم في تصوير أوضاع العالم، وتقويمه بواقعية تامة في نقل الحدث .

في مقطع وجيز يعرض الجانب الترفيهي للتلفاز الذي لم يكن له دور كبير في حياته "...أما التلفزيون فلم أكن أشغله إلا لمشاهدة أفلام أعشقها مثل أفلام سارجيوليوني، وبيرغمان، وكيروزاوا... ويوسف شاهين..". (المصباحي، 2015، ص 09)

ومع اضطراب الأوضاع في الدول العربية، وتفاقم المشاكل الاجتماعية والسياسية، وبروز موجة الربيع العربي اهتم الناس بالتلفزيون ومشاهدته للتزود بالأخبار المحلية والوطنية والعالمية عبر فضائيات مختلفة تنقل الأخبار والمشاهد الجديدة والحصرية، ومن المقاطع التي أورد فيها السارد دور التلفزيون نجد: "وفي الصور التي عرضتها القنوات التلفزيونية بدت المدينتان وكأنها عاشتا معارك ضارية، خرائب، أبنية منهارة، حيطان سوداء، محلات تجارية منهوبة، شوارع ملطخة بالدم، رجال ونساء وأطفال يركضون في جميع الاتجاهات وهم يصرخون ويهتفون...". (المصباحي، 2015، ص 80)

وفي مقطع آخر :

"وعلى المحطات الإذاعية والتلفزيونية، توافد مئات من المعارضين ومن الذين كانوا من المساندين له ومن المستفيدين من نظامه لينددوا بالجرائم الشنيعة التي ارتكبها في حق الوطن والشعب .". (المصباحي، 2015، ص 101)

يتذكر السارد دور إذاعة صوت العرب وما أحدثته من وقع إعلامي على نفوس العرب أثناء حرب الأيام الستة فيقول: "لعبت إذاعة صوت العرب" مثل هذا الدور في الكذب والتضليل والتهبيج. لكن بالكلمة فقط. مع ذلك تمكنت من أن تكتسح قلوب الملايين من العرب وعقولهم لتغرقهم في الأوهام والأباطيل التي لم يستيقظوا منها إلا عندما انهارت فجأة الجيوش العربية أمام إسرائيل في حرب الأيام الستة...". (المصباحي، 2015، ص 12)

في مقطع سردي آخر يصف الروائي الإعلام التونسي وانصراف مشاهديه إلى قنوات أخرى أجنبية للاستقاء والتزود بالأخبار منها، وكيف أصبحت قنواتهم المفضلة: "والقنوات المفضلة بالنسبة لأغلبهم هي قناة "الجزيرة" وقناة

"العربية" و"فرانس 24". أما القنوات الوطنية .. فلم يكن يتابعها إلا القليلون ، ولم أستغرب ذلك . فمنذ سنوات طويلة فقد الإعلام الرسمي مصداقيته ، ولم يعد أحد يعيره اهتماما. فهو إعلام كاذب ، مزيف ، يتمتع بمهارة وبدراسة فائقة على قلب الحقائق وإخفائها، هدفه الوحيد هو تلميع صورة النظام بأي طريقة ومهما كان الثمن .. لذا فهو لا يتجرأ أبدا على الإشارة إلى الفيضانات والاحتجاجات والمظاهرات وحوادث الطرقات والجرائم البشعة والسرقات التي يتورط فيها المسؤولون الكبار أو الصغار ... " (المصباحي، 2015، ص13)

## 05/ وصف الشخصيات :

هو الأمر الذي يمنح الشخصية فاعليتها في النص السردي ، إذ يقوم على ما تقدمه من جهود لتفعيل مسار النص جماليا ودلاليا سواء أكانت الشخصية ظاهرة بوصفها أو اسمها أو ما يدل عليها، ولقد كان وصف محمد مفلح وحسونة المصباحي لشخصياتهم في الروايتين أما على لسان السارد أو على لسان أحد شخصياتهما، وهو هنا يظهر على صورتين : وصف خارجي ووصف داخلي .

### 5-1 : الخارجي :

وهو ما تعلق بالصورة الخارجية للأشياء ، إذ نجد المصباحي قد قدم في روايته وصفا لبعض الشخصيات ، وذلك لإبراز ملامحها وحركاتها ووصف طبائعها، بطريقة تحليلية من خلال وصف الشخصية وصفا خارجيا والتي تعد "الطريقة التي لا تحتاج إلى جهد من القارئ لكشفها لأنها تقدم جاهزة وهي طريقة تعتمد على الوصف الخارجي للشخصية." (شعبان ، 2004، ص 123).

ويمكن تمثيلها في ما يلي : يصف المصباحي انقلاب نظرة التونسيون وتغيرها اتجاه رئيسهم المخلوع "بن علي" قبعدا كان الرئيس المحبوب المبجل "أصبح الخائن السفاح المجرم" في مقطع وصفي يعكس واقع تونس المعيش بعد سقوط نظامها وهروب رئيسها فيقول : "والآن لم يعد "الرئيس المحبوب"، ولا "الزعيم المبجل" صاحب الإنجازات العظيمة التي غيرت وجه البلاد ، ولا "القائد المصلح" ، ولا " بطل الثورة البيضاء الهادئة"، بل أصبح " السفاح "، و "المجرم"، و "خائن الوطن والشعب"، و "الطاغية"، و "قائد عصابة السراق"، والجنرال الجبان الذي خير مصالح زوجته الفاسدة وإخوتها اللصوص على مصالح بلاده و "المستبد الجاهل." (المصباحي، 2015، ص101)

كذلك تعرض الراوي للصفات الخارجية لشخصية "محمود بن عياد" وذلك على لسان المؤرخ العجوز إذ وصفه له حيث قال: "ثم يستخرج صورة بالأبيض والأسود ليعرضها علي قائلا: هذه صورة أخذت لمحمود بن عياد .... أمامي رجل بأناقة أعيان المملكة في تلك الفترة... وهو في منتصف العمر، غير أنه لا يزال يتمتع بوسامة الشباب... حاجبان كثيفان، مقوسان، عينان واسعتان فيهما يلمع المكر والدهاء ، أنف دقيق وفي ملامح الوجه الدور المتألق بالنعمة والوجاهة التي يتمتع بها صاحبه ما يشي بالشراسة والنهم والاعتداء بالنفس..." (المصباحي، 2015، ص121).

نجد أن الراوي قام بذكر أدق الصفات لشخصية الخائن ، مركزا على ملامح الوجه التي تمثل مركز حس الإنسان ، من خلال شكل الحاجبان ، وسعة العينان ، وشكل الأنف ، ولامح الوجه والتي تتم عن قسوة الشخصية وخيانتها لوطنها وبيع نفسها للاستعمار من أجل المنصب والمال .

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي

في مقطع وصفي آخر يستعرض فيه السارد أهم الصفات الخارجية التي تميزت بها شخصية السطمبولي، فرسم معالم جمال وجهه وصفاته مما جعلته محبوبا لدى من هم أصغر منه حينما يروي لهم قصصا شعبية، وهي شخصية ثقافية كان لها الدور الكبير في التأسيس لفن المسرح في تونس "إن خليفة السطمبولي نحيف... طويل القامة... بشعر كثيف... مسرح إلى الراء وعينين بخضرة اللوز في نيسان، وشارب خفيف يعلو شفتين غليظتين. وهو يمضي الوقت متجولا في أحياء المدينة البحرية الجميلة... متحدثا إلى من هم أصغر منه سنا". (المصباحي، 2015، ص283)

في مقطع آخر يتذكر السارد أيام دراسته في مرحلة الثانوية فيعرض مقطعا وصفيا يرسم فيه ملامح وجه أستاذة الفلسفة الجميلة المحبوبة لدى جميع التلاميذ، ووضعها الاجتماعي (عائلة عريقة)، وكذا قدرتها على الإقناع من خلال تحكمها في المعلومات واعتمادها مناهج حديثة، فهي تهيج عواطفهم المكبوتة حين يقول:

"أستاذة الفلسفة تدعى هيام من عائلة عريقة صاحبة المرسى. وهي في حوالي الثامنة والعشرين من عمرها... وشعر قصير، ونظرات طيبة، وابتسامة عذبة تعكس براءة طفولية، ورقة في العواطف والمشاعر، ولها صوت مثير، يهيج عواطفنا المكبوتة... فهي تنسينا كآبة أغلب الأساتذة الآخرين ورتابة دروسهم، وسطحياتهم وبلاغتهم الثقيلة، وتشبثهم بالمناهج البالية، وجفاءهم، وخشونة أصواتهم وقبح أشكالهم..." (المصباحي، 2015، ص319)

## 5-2 : الوصف الداخلي النفسي :

وهو "أن يفسح الكاتب المجال للشخصية نفسها لتعبر عن أفكارها وعواطفها واتجاهاتها وميولها، لتكشف لنا عن حقيقتها". (زعر، الكنفاني، 2006، ص163) أي أن الكاتب يترك الشخصية هي التي تعرف بنفسها، وتكشف عن ذاتها، عبر أقوالها وأفعالها، والتعبير عن مشاعرها، وذلك عن طريق الوصف أو الحوار مع الشخصيات الأخرى.

فالروائي "حسونة المصباحي" استخدم أيضا هذه الطريقة في تقديمه لبعض شخصيات، بحيث أعطى الحرية للتعبير عن العواطف والمشاعر .

ومن بين المقاطع التي وظفها، وصف السارد صديقته التي كان بانتظارها واعتذرت في آخر لحظة بسبب خوفها من الأوضاع المتأزمة والاضطرابات، فيبرز شعورها الحزين بعدم المجيء، ويعبر عن تعلقه بها حبا وصوتا فيقول: "أعلمتني بذلك هاتقيا وهي حزينة، وحزنها يزيد بها إثارة، ويجعلني أشد تعلقا بها، وتوقا للقائها، وصوتها يصبح أكثر عذوبة عندما تنطق "الراء". وفي الحقيقة هي لا تنطق به، وإنما تلمسه بلسانها لمسا خفيفا يزيل غلظته فيأتي نغما كأنه همس النسيم..." (المصباحي، 2015، ص59)

في مقطع آخر وصفي يعبر عن بهجته وبالطبيعة الجبلية الجميلة التي استمتع بها أثناء صعوده الجبل التي هدأت من غضبه وحزنه اتجاه ما يشعر به من مشاعر حب لبلده الذي يعيش حالة عنف وتخريب: "...بابتهاج وغبطة رحت أصعد الجبل المعطر بروائح الإكليل والزعر والأزهار البرية. الطقس بارد قليلا والسماء مغمية. وهناك في الأسفل المحيط الهادي بلون رمادي غامق، ولا موجة بيضاء على سطحه. واصلت الصعود مستمعا إلى هدير غضبي تجاه ما يحدث في بلادي من أعمال عنف وتخريب وتكفير..." (المصباحي، 2015، ص322)

## 06- وصف الأمكنة :

بقدر ما يهتم الوصف بالشخصيات الروائية بقدر ما يهتم بالمكان أيضا ،فهو الذي يحوي هذه الشخصيات ،فيخرجه لنا في صورة مختلفة تتميز بالحسن أو بالرداءة،الضيق أو الاتساع،التحضر أو التخلف ،كما أن وصف المكان الروائي يجعله معروفا لدى القارئ ولدى الشخصية الروائية ، وهو وسيلة مساعدة للاتصال بحياة المجتمع ،في تصوير أحواله كما هي في الواقع ليقرب القارئ من واقعه المعيش ،"وهو بتوظيفه عناصر المكان المحسوسة ،لتشكيل مكانه المتخيل،وإنما يدخل العالم الخارجي ،بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي ،ويشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال،ويخلق انطبعا بالحقيقة أو تأثير مباشر بالواقع." (قرين ،2015،ص65) فالوصف يستخدمه الروائي للكشف عن الحياة الإنسانية،وما يحيط بها من زمان ومكان في صورة أدبية جمالية،مثل ما نجده في الرواية.

في رواية "أشواك وياسمين ينطلق السارد في وصف مدينته تونس التي تغيرت أوضاعها وانقلبت أحوالها من حالة استقرار وهدوء وهناك إلى حالة من الفوضى والأمن بوصف دقيق يتطرق فيه للوضع العام الذي مس المجتمع التونسي "...كانت البلاد بقراها ومدنها تستقبل الصباح على أنغام الموسيقى والأغاني المفعمة بالأمل وحب الحياة،وبالتفائل بالمستقبل...غير أن كل ذلك اندثر وتلاشى كما لو أنه لم يكن أبدا ..والآن ترتفع في المنازل وفي المقاهي وفي الأسواق وفي المحلات التجارية الصغيرة والكبيرة وفي دكاكين بيع الأكلات السريعة وفي صالونات الحلاقة وفي حافلات النقل العام ،أصوات الشيوخ المقرئين الموحشة الحزينة وهي تنذر بالويل والثبور كل من عصى وخالف الدين أو تغافل عن أداء فروضه وواجباته الدينية." (المصباحي،2015،صص17،18).

وفي مقطع آخر ،يصف القاهرة أثناء زيارته لها وقت ثورة المصريين على نظامهم ومحاولة تغييره ،فيرصد أوضاع أحياءها المضطربة ومعيشة سكانها الفوضوية التي تغيرت تماما فيقول : "يوما أقوم بجولات طويلة في العديد من الأحياء خصوصا ميدان التحرير "القلب النابض لتلك المدينة الهائلة الاتساع ،الكثيفة السكان ،و "طلعت حرب"حيث مكتبة "الشروق" ومكتبة "مدبولي" ومقهى "غروي" ،أشهر المقاهي في العهد الملكي ،ومقهى "ريش الأصدقاء والصديقات.."

"أمشي والهدير العالي للمدينة التي اتسعت حتى ضاقت بساكنيها ،يختلط بزعيق سياراتها الذي لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار ..أمشي ونداءات الباعة تبدو وكأنها صيحات استغاثة وسط جموع غفيرة فاقدة للبوصله ...أمشي مخترقا أنات جيش من الشحاذين من مختلف الأعمار باركين على الأرض ." (المصباحي،2015،صص29،30)

## 07/ خاتمة:

يعد الوصف محورا أساسيا لا يمكن للنص الروائي الاستغناء عنه ،باعتباره أداة فاعلة في تصوير المشاهد والأحداث الروائية .

تجليات الوصف في رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي التونسي  
إن الوصف هو الخطاب الذي يرسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات  
المتشابهة له أو المختلفة عنه. كما لاحظنا أن الروائي "حسونة المصباحي" وظف الوصف بأنماطه حتى استغرق  
هذا الأخير فصول روايته.

- اعتمد الروائي على الوصف الإنتقائي من أجل ألا يحس القارئ بالملل والكلل.

- وصف الشخصية بنوعيتها الخارجي والداخلي، هو كشف لظاهرها واستبطان لداخلها، وقد أعطى الروائي الحرية  
المطلقة للشخصيات للتعريف بنفسها، أرادا من ذلك إثارة جوانب مظلمة وأخرى خفية ومن هنا تظهر أهمية وصف  
الشخصية.

إن الوصف في الرواية كان ملحقا بغائية تبرز وجوده وحضوره في النص، وذلك يبرز خاصة في كل ما  
يتعلق بالدور السردى المنتظر منه كتقديم شخصية أو تحديد الإطار المكاني للرواية أو تفسير وتوضيح أشياء  
غامضة لا يستطيع السرد تفسيرها.

## 8. قائمة المراجع:

- 01/ المصباحي حسونة، 2015، أشواك وياسمين، تونس، دار أفاق للنشر .
- 02/ القاسم سيزا أحمد، (2004)، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ د ط، هيئة الكتاب، مهرجان  
القراءة للجميع .
- 03/ زعرب صبحية عودة، الكنفاني غسان، (2006)، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، عمان، الأردن  
، دار مجد للنشر والتوزيع .
- 04/ زيتوني لطيف، معجم المصطلحات نقد الرواية (عربي، انجليزي، فرنسي)، ط1، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان  
ناشرون، دار النهار للنشر .
- 05/ لحداني حميد، (1991)، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي  
للطباعة والنشر والتوزيع .
- 06 /محفوظ عبد اللطيف، (2009) وظيفة الوصف في الرواية، ط1، بيروت، لبنان الدار العربية للعلوم الناشرون  
، الجزائر، منشورات الاختلاف.
- 07 / قرين آسيا، (2015)، تقنيات السرد في رواية نجيب محفوظ (القاهرة الجديدة دراسة بنيوية تطبيقية )  
، ط1، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع .
- 08/ شعبان هيام، (2004) السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله، الأردن، دار الكندي .